الفن الإسلامي: مفهومه ومعاييره

*صالح نياب هندي، خالدة خالد الكيلاني**

ملخص

يهدف هذا البحث إلى التعريف بالفن الإسلامي من حيث مفهومه، ومصادره، وخصائصه، ومعاييره، وذلك من خلال الإجابة عن أسئلته الثلاثة، باستخدام المنهج الأصولي الذي يقوم على الدراسة الاستقرائية والتحليلية والاستنتاجية، لبيانات البحث بعد مراجعة الأدب التربوية السابقة من البحوث والدراسات، واستقصاء النصوص الإسلامية من القرآن والسنة وبعض أقوال علماء المسلمين.

وتوصل البحث إلى أن الفن الإسلامي له مفهومه الخاص به، المنسوب إلى الإسلام والمرتبط بعقيدته، فهو نسق بنائي متكامل من الفنون له مصادره المعتبرة، وله خصائص تسع تميزه عن غيره، وتجعل منه فناً أصيلاً غير مقتبس، ترك تأثيره في الفنون الغربية التي اعترف به المستشرقون والباحثون المنصفون. كما توصل البحث إلى أن الفن الإسلامي يقوم على (18) معياراً تميزه عن الفن المعاصر.

الكلمات الدالة: الفن، الإسلام، مفهوم الفن الإسلامي، معايير الفن الإسلامي.

المقدمة

عرف الإنسان الفن (Art) منذ بداية الخليقة، كوسيلة للتعبير عن حاجاته، وتحقيقا لذاته، وبدا الفن بسيطا بالخطوط والرموز والصور والرسومات على الكهوف والمباني وأماكن العبادة. وما لبث الفن أن تطور في أدواته ومنتجاته حتى أصبح ظاهرة عامة للتعبير عن حياة الإنسان بأنماط جميلة متعددة، وعندها صار التعبير الإنساني الجميل باللفظ والنغمة والحركة والشكل يُعرف بالفن.(الالفي1980).

اختلفت طبيعة الفن باختلاف بيئة الإنسان، واختلاف فهمه للحياة وغايته منها، مما أدى إلى تغير أنماط التعبير الفني وتعددها في الحضارات، وهو ما يفسر الفروق بين حضارة وأخرى في النظرة إلى الفن وممارسته، حتى قيل إن لكل حضارة روحا تتميز بها عن غيرها.(حجازي، 1997)

والمتتبع لمسار الفن في الحضارات الإنسانية المتعاقبة، يجد أن الفن قد تطور عبر العصور: من الفن البدائي، والفن المصري، وفن بلاد الرافدين، والفن الإغريقي، والفن الروماني، والفن المسيحي، والفن الإسلامي.(الصواف، 2004). وصولاً إلى الفن الحديث والمعاصر.

يعد الفن الإسلامي أوسع الفنون انتشارا وأطولها عمرا، إذا استثنينا الفن الصيني، ويرى (الالفي(1980، 143) "أن الفترة الزمنية للفن الإسلامي تمتد من القرن السابع الى القرن الثامن عشر" إذ لم يعرف الفن الإسلامي زمن الرسول والخلفاء الراشدين، بالصورة التي عرف بها في الفترة زمنية اللاحقة، بسبب انشغال المسلمين بالحروب التي رافقت نشر الدعوة وتأمين وصولها إلى الناس، وعندما استقرت الدولة الإسلامية في عهد الدولة الأموية بعد انتهاء الفتوحات، وتوفر الاستقرار السياسي والاقتصادي، كانت البداية الحقيقية للفن الإسلامي، الذي استمد منهجه من أصول الإسلام المتمثلة في القران الكريم والسنة النبوية والعقيدة الإسلامية التي شكلت شخصيته وأصالته بين فنون الحضارات الأخرى.

وبالرغم مما عُرف عن هذا الفن من قوة وتأثير في الفنون الأخرى وبخاصة في الفنون الغربية، إلا أنه منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر، قل اهتمام الناس بهذا الفن، بسبب أُلفتهم بالفنون الأخرى، وبخاصة الأوروبية، التي أصبحت أكثر انتشارا في حياتهم، فتأثر المسلمون بمنتجات الفنون الغربية، واقبلوا على تقليدها، وقل تمسكهم بأساليبهم الفنية الموروثة، وضنوا بالوقت اللازم لإتقانها، حين أصبحت السرعة في الإنتاج، والاقتصاد في النفقات أساس الحياة الاقتصادية (حسن، د.ت).

* قسم المناهج والتدريس، كلية العلوم التربوية، الجامعة الهاشمية، الأردن. تاريخ استلام البحث 2017/5/4، وتاريخ قبوله 2018/9/9.

 © 2019 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

واستكملت دائرة التقليد والمحاكاة للفن الغربي منذ بداية القرن العشرين، تحت تأثير موجات الغزو الفكري والتغريب والعولمة، لدرجة ان الانفصال الفني عن خصائص الفن الإسلامي قد تم بشكل تام بالرغم من التمايز الذي يصل إلى حد التناقض بين الفنين الإسلامي والأوروبي ليس في الإنتاج فحسب، بل في الذاكرة وفي الذائقة (مراد، 2007).

وزاد الطين بلة، ما نشهده اليوم من حملات مسعورة ضد الفن الإسلامي لكونه مَعلماً بارزاً لحضارة الأمة وثقافتها وهويتها، وهو ما يستوجب على الباحثين بذل الجهود للتعريف به وتفعيل ممارسته في الحياة، إلا ان ذلك كما يقول الغمري (2006) هو ما نفتقده الآن بسبب حمى التقليد للغرب وفنونه.

مشكلة البحث وأسئلته

بالرغم مما يحظى به موضوع الفن وتناوله والبحث فيه من أهمية كبيرة، نظراً لارتباطه بثقافة الأمم ومنجزاتها الثقافية الحضارية، إلا ان ما كتب عن مفهوم الفن من منطلق إسلامي يعد قليلاً، ولعل ذلك يرجع كما يذكر الشامي (1990) إلى أن هذا الموضوع المتداول الآن لم يكن مطروحاً فيما مضى، بل كان الحديث يتناول كل فن على حدة، كما ان أكثر الذين كتبوا عن الفن والجمال كانت ترجمات لكتب لم تتحدث عن الفن الإسلامي أو تحدثت وكانت قاصرة على مفاهيم فردية شرقية أو غربية، إضافة إلى ان الكثير من علماء المسلمين رأوا في الحديث عن هذا الموضوع نافلة من القول، فحرصوا على شغل وقتهم بما رأوه من الفروض، لأنه واجب، والله تعالى لا يقبل نافلة حتى تؤدى فريضة، علاوة على اعتبار هذا العلم جديد، ولم يستكمل بعد قواعده وأصوله.

وفوق قلة البحث في الفن من منطلق إسلامي، هناك قلة في الوعي بمفهومه وحقيقته من قبل المشككين والمتنكرين له، أخذا بمقولة من جهل شيئاً عاداه، وأثار حوله الشبهات، من مثل أقولهم للمفكرين والدعاة المسلمين: إنكم تدعون إلى حياة تحرم فيها البسمة على كل فم، والبهجة على كل قلب، والزينة في أي موقع، والإحساس بالجمال في أي صورة (القرضاوي، 1995). إن هذا التجني على الفن الإسلامي يعكس في الحقيقة جهل أصحابه، ويشكل محاولة كما يرى عمارة (1991) لاستخدام هذه الطعون ضمن مطاعن أخرى لتشويه صورة منهج الإسلام في الفكر والسلوك.

من هنا تبرز مشكلة البحث المتمثلة في قلة البحوث والدراسات التي تناولت الفن الإسلامي، وقلة الوعي الذي يكتنف حقيقته ومفهومه، الأمر الذي يستدعي تسليط المزيد من الضوء على هذا الفن والبحث فيه، وهو ما دعت إليه الدراسات السابقة مثل دراسة (الالفي، 1980) و(خير، 1990). وبذلك تتحدد مشكلة البحث في التعريف بمفهوم الفن الإسلامي ومقاصده وخصائصه ومعاييره من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. ما الفن الإسلامي ومقاصده؟
2. ما مصادر الفن الإسلامي وخصائصه؟
3. ما معايير الفن الإسلامي؟

أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى بلوغ الأهداف التالية:

1. تحديد مفهوم الفن الإسلامي ومقاصده.
2. الكشف عن مصادر الفن الإسلامي وخصائصه.
3. التعريف بمعايير الفن الإسلامي.

أهمية البحث:

يكتسب البحث أهميته من أهمية موضوعه ودراسته، لا سيما في ظل قلة الدراسات السابقة بل ندرتها، حيث لا يزال الفن في الفكر الإسلامي موضوعا بكرا، لم تستكشف أفاقه على نحو واسع ولم يأخذ حظاً وافراً في المعرفة الإسلامية، بوصفه مفردة من مفردات الفكر الإسلامي، ولا في المعرفة العربية بوصفه جانبا مهما من التراث والثقافة العربية.

وعليه يمكن القول إن أهمية البحث تكمن في جانبين هما:

1. الأهمية العلمية والنظرية التي تتمثل في كشف أفاق الفن من منظور إسلامي بشكل عميق، وتصويب التصور الخاطئ عن طبيعة العلاقة بين الإسلام والفن، لدى بعض المؤسسات المعرفية الاستشرافية، وبعض المفكرين المسلمين والعرب، ممن

انتموا إلى بنية معرفية مغايرة للبنية المعرفية الإسلامية، ورد الادعاء أن الثقافة الإسلامية تفتقر إلى رؤية أو نظرية إسلامية خالصة في مجال الفن والانجاز الفني.

2. الأهمية العملية والتطبيقية التي تتمثل في تقديم أدب تربوي يبرز موضوع الفن في المعرفة الإسلامية والعربية، ويعيد له الاعتبار والتأصيل، ويعرَف بالمعايير الإسلامية للفن، والتوصل إلى نتائج وحقائق تساعد العاملين في قطاع الفن على العمل وفق رؤية إسلامية حقيقية، إضافة إلى الإسهام في الجهود المبذولة على مستوى الأمة الإسلامية في حركتها النهضوية التي تنشد الإصلاح في شتى المجالات، ومن بينها النهوض بالمشروع الفني في ظل المعرفة الإسلامية.

ومن المتوقع لهذا البحث أن يفيد في نتائجه كافة المهتمين بالفن الإسلامي وبخاصة العاملين في تخطيط المناهج الدراسية وبخاصة مناهج التربية الإسلامية والتربية الفنية ومؤلفي كتبها المدرسية في إبراز المفاهيم الإسلامية لعناصر الفن وممارساته، كما أنه قد يفتح الآفاق أمام الباحثين لمزيد من البحوث والدراسات المستقبلية في ضوء ما ينتهي إليه من نتائج وتوصيات.

تعريفات البحث

وردت في البحث بعض المفاهيم التي ينبغي تعريفها وهي:

مفهوم الفن الإسلامي: المفهوم لغة مشتق من الفعل فهم، يقال فهمه فهماُ إذا أحسن تصوره للشيء، والفهم حسُ تصور المعنى، والمفهوم: مجموع الصفات والخصائص الموضحة لمعنى كلي.(انيس، منتصر، الصوالمي والأحمد، 1972، 704). أما الفن فهو التعبير الإنساني الجميل عن الاحتياجات الشخصية والاجتماعية والروحية باللفظ والنغمة والحركة والشكل.(الالفي، 1980، 8) وفي ضوء تعريف كلمتي المفهوم والفن يقصد بمفهوم الفن الإسلامي في هذا البحث: مجموع الصفات والخصائص الموضحة لمعنى الفن الإسلامي المتمثل في التعبير الإنساني الجميل عن الاحتياجات الشخصية والاجتماعية والروحية باللفظ والنغمة والحركة والشكل من منطلق إسلامي.

معايير الفن الإسلامي:

المعايير مفهوم مشتق من الفعل عاير، ومنه المعايرة وتعني التقدير بالحجم بأدوات قياسيه معروفة قوتها، والمعايرة من العِيار، وهو كل ما تقدر به الأشياء من كيل أو وزن، وهو ما أُتخذ أساسا للمقارنة، وفي الفلسفة: المعيار نموذج متحقق أو متصور لما ينبغي ان يكون عليه الشيء، ومنه العلوم المعيارية وهي المنطق والأخلاق والجمال وجمعها معايير.(انيس وزملاؤه، 1972، 639). وعليه يقصد بمعايير الفن الإسلامي جملة المواصفات التي ينبغي ان يكون عليها الفن الإسلامي مقارنة بغيره.

منهج البحث واجراءاته

يستخدم البحث المنهج الأصولي الذي يقوم على الدراسة الاستقرائية والتحليلية والاستنتاجية، حيث يستخدم المنهج الاستقرائي ابتداءً في تتبع الجزيئات وصولا إلى القوانين العامة التي تفسر الجزئيات أو الظواهر، ويستخدم الاستنباط في الانتقال من القضايا الكلية أو المسلم بها إلى الأحكام الجزئية التي تنتج عنها بالضرورة. (الدسوقي، 1983، 106)

أما التحليل فيستخدم في دراسة الإشكاليات العلمية المختلفة تفكيكاً(أي تفكيك المشكلة وإرجاع عناصرها إلى أصولها وهو ما يعبر عنه بالتفسير)، وتركيباً (أي جمع عناصر المشكلة ودراسة طبيعتها ليركب منها نظرية أو قواعد معينة وهو ما يعبر عنه بالاستنباط)، وتقويماً(أي نقد المشكلة ببيان مواطن الصواب والخطأ فيها بهدف التصحيح(الانصاري، 1983، 101).

أما إجراءات البحث في الإجابة عن أسئلته، فتسير وفق خطوات، أولها بيان كيفية الإجابة عن كل سؤال، ثم التوصل إلى النتائج، وما ينبني عليها من استنتاجات، وصولا إلى تقرير نتائج تثري الموضوع وتتقدم به إلى الأمام.

الدراسات السابقة

قام الباحثان باستقصاء ما كتب عن الفن الإسلامي في الأدب التربوي المكتوب من كتب ودوريات عربية وأجنبية.وقد أمكنهما حصر عدد من الدراسات العربية، أما الدراسات الأجنبية فقد تعذر الحصول عليها. وفيما يأتي عرض للدراسات العربية ذات الصلة بموضوع البحث والقريبة منه، مرتبة بشكل متسلسل من حيث سنوات إعدادها على النحو الآتي:

أجرى القفاش (1986) دراسة هدفت إلى تقديم رؤية معرفية إسلامية لمفاهيم الجمال والفنون، منطلقة من تعريف الفن لغة

واصطلاحا للوصول إلى معنى الفن الإسلامي، وتحليل دلالة هذا المفهوم المكون من كلمة الفن كمنعوت والإسلام كنعت، وتوصلت الدراسة من تحليلها إلى أن لفظ الإسلامية تشكل صفة ذات خصائص بنائية تضفي على غيرها من الكلمات كالفن صفة خاصة.

وقام خير (1990) بدراسة هدفت إلى الكشف عن اثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي، ومن المسلمات التي قامت عليها: أن الفن الذي نريده وندعو له هو الباعث للإحساس الجمالي، من خلال الوعي الإنساني، معبراً عن حقائق الوجود، وأن الإسلام دعا لفن قائم على وعي متكامل لإبراز الجمال من خلال التصور الإسلامي للفن.وذكرت بعض الحقائق عن الفن الإسلامي: بأنه مولود إسلامي.وأنه على الدوام كان في خدمة الإنسان، وأن الإسلام تحرير للفن من الأسر الكهنوتي، وأن المقاييس الغربية للفنون ليست هي المقاييس الوحيدة ولا تصلح للمسلمين، وأن الفساد في الفن ظهر عند ظهور الفساد في العقيدة. وانتهت الدراسة بالتأكيد على أن الدين والفن شيئان مترابطان، ودعت إلى ضرورة البحث عن تراثنا فنحييه، من أجل تفعيل رسالة الفن الإسلامي في الحياة والأخذ بمفاهيم العقيدة ضمن معايير هذا الفن.

وأعدّ الشامي (1990) كتابا بعنوان الفن الإسلامي التزام وإبداع، هدف إلى إعطاء تصور عام للفن الإسلامي – من وجهة نظر مسلمة – وبيان التزامه بالمنهج الإسلامي العام: وتناول من باب الضرورة الحديث عن جميع الفنون الجميلة من غير إطالة، والحديث كذلك عن الفن الغربي وعن مدارسه، تسهيلاً للمقارنة وأشار الكتاب إلى ان كتب الفن كثيرة، في حين أن ما كتب عن الفن الإسلامي كان قليلاً، مبيناً أسباب ذلك، وهو ما يبرز الحاجة إلى البحث في الفن الإسلامي.

وقام عمارة (1991)بإعداد كتاب الإسلام والفنون الجميلة، هدف إلى التعريف بموقف الإسلام من الفنون الجميلة، تناول فيه تعريف الفن بأنه التطبيق العملي للنظريات العلمية بالوسائل التي تحققها، وأن الفنون الجميلة هي الفنون الجميلة في ذاتها، والجميلة في وظائفها وتأثيراتها ومقاصدها، وان الجمال هو البهاء والحُسن والزينة التي تحققها هذه الفنون في سعيها إلى انجاز مقاصدها. وبين أن الفن إبداع بشري، وهو داخل –عند تصنيف العلوم – في علوم الحضارة وفنونها، وأن الفن المتسق مع الإسلام هو ذلك الفن الذي يحقق مقاصده في أمته وفي الإنسانية، عندما تشبع فيه الصبغة التي صبغت بها عقيدته وميزت بها أيديولوجيته إبداع الإنسان الفنان، ونفي في الختام وجود أية خصومة بين الإسلام والجمال.

ووضع القرضاوي (1995)كتاباً بعنوان الإسلام والفن، دافع فيه عن الفن وذهب إلى أن روح الفن هو الشعور بالجمال، والتعبير عنه، وأن الإسلام أعظم دين غرس حب الجمال والشعور به في أعماق كل مسلم، إذ القرآن الكريم يؤكد ذلك بوضوح من خلال لفت الانتباه إلى الجمال المبثوث في الكون بكل أجزائه ومكوناته. وأشار إلى أن الإسلام أحيا ألوانا من الفنون، ازدهرت في حضارته وتميزت بها عن الحضارات الأخرى، وأن الفن كالعلم، يمكن أن يستخدم في الخير أو الشر، وهنا خطورة تأثيره، وهو وسيلة إلى مقصد، فحكمه حكم مقصده، فإن استخدم في حلال فهو حلال، وإن استخدم في حرام فهو حرام..

وأجرى مراح (1997) دراسة هدفت إلى التعريف بإسهامات مجلة المسلم المعاصر في إسلامية الفنون، مستخدمة منهج التحليل الكيفي والكمي للمقالات والبحوث المنشورة في عينة من أعدادها، من خلال القراءة التركيبية لها، ثم استخلاص رؤية متكاملة تعكس تصورا إسلامياً لمسألة الفنون ووظيفتها في المجتمع المسلم، من خلال مناقشة البحوث التي نشرتها المجلة ضمن المحاور الآتية: النظرية الجمالية الإسلامية ومعالمها المتمثلة في ارتباط الجمال بالحقيقة والإيمان، ومميزات الفنون المرئية في الإسلام وهي التوحيد، والوحدة، ونفي غائية الزينة والإمتاع الجمالي، وتجاوز الطبقية، وأخيرا جمالية السماع من حيث وضع الموسيقى في العالم المسلم والموسيقى والموسيقيين في ميزان الشريعة.

وقام الفنجري (1998) ببحث عن الإسلام والفنون هدف إلى التعريف بموقف الإسلام من الفنون، وأكد فيه أن لا تناقض بين الدين والفن، وأن الفن له مقاصده التي تلتقي مع مقاصد الدين الإسلامي، وأن الإسلام لا يحارب أي فن من الفنون الإنسانية طالما لا يكون وسيلة للشرك أو الفساد، وضرورة النظر في الفتاوى التي تبدو مختلفة، إذ إن الأمة بحاجة إلى الاجتهاد في قضايا الفن بشكل جماعي من قبل العلماء المتخصصين في العلوم الشرعية والفنون الإسلامية.

وأجرى بهجت(2009) بحثاً هدف إلى بيان صلة الإسلام بالجمال في مجال الأدب والفن بصفة خاصة، مناقشاً الآراء المختلفة للباحثين الذين تناولوا هذا الموضوع بشكل مباشر، مستخدماً المنهج الوصفي التحليلي. وقد تناول في المبحث الأول علاقة الإسلام بالجمال، مبيناً مفهوم الجمال واهتمام الإسلام به، وعلاقته بالتوحيد وغايته، ومجالات جمال الكون في القران الكريم. وقدم في المبحث الثاني رؤية نقدية إسلامية لمفهوم الالتزام، ومفهوم المسؤولية في القرآن والقواعد الشرعية، والجمال بين الذاتية والموضوعية والالتزام والفن. وناقش في المبحث الثالث الأسلوب القرآني في جمال اللفظ وجمال المعنى، محللاً بعض اللوحات

الجمالية في القرآن من مشاهد الجنة والنار في الآخرة.

وأعد حنش (2013) كتابا بعنوان نظرية الفن الإسلامي المفهوم الجمالي والبنية المعرفية.وتناول فيه الموضوعات التالية:الفن الإسلامي، ونظرية الفن الإسلامي، والنظرية الاستشرافية، وعلم الجمال ورأى أن نظرية الفن الإسلامي هي تلك الأفكار والآراء والرؤى والتفسيرات المتعلقة بالظاهرة الفنية الإسلامية بكل مفاهيمها وعلاقاتها وتحولاتها، فضلا عن طبيعتها البنيوية والصفاتية والوظيفية التي أبدعها صانعو هذه الظاهرة أو نظر لها علماء الجمال وفلاسفة الفن المسلمون القدامى، أو قدمها دارسوها المحدثون تحليلا وتأصيلا.

وتكشف قراءته النقدية المعمقة لذلك الخطاب المعرفي الخاص بالبحث عن نظرية النقد الإسلامي أو بالبحث في هذه النظرية عن تباين الأفكار والآراء والرؤى والتفسيرات المتعلقة بها، وعن اختلافها بين العموم والخصوص أو بين الإجمال والتفصيل، أو بين كليات الفن الإسلامي الفكرية والفلسفية والجمالية والدلالية، وجزئياته الفنية والعلمية والنقدية المتعلقة بأجناسه وأساليبه وتقنياته وإعماله الإبداعية.

وحاول عكاشة (2016) عرض مسألة الفن من منظور معرفي إسلامي بعد تجاوز العرض الفكري والتاريخي والتقني وبعد أن تلون مفهوم الفن بتأسيسات نظرية وممارسات عملية لا تليق بالفطرة الإنسانية ولا بالمقاصد الشرعية لحياة الفرد والمجتمع. والهدف من ذلك إعادة الاعتبار لمفاهيم الفن والجمال والإبداع لتأخذ موقعها في الفكر الإسلامي المعاصر والعمل على فتح باب الاجتهاد لبناء أسس هذا الفن ومقوماته القادرة على الإسهام في النهوض الحضاري للأمة.

وقد عالجت فصول هذا الكتاب مسائل وموضوعات عديدة في مجالات الإبداع الفني والجمالي، توزعت على المفاهيم والمصطلحات والرؤى الفقهية المقاصدية، والمراجعات الفكرية والمعرفية المقارنة، والتصميمات الفنية المعمارية ونماذج من التطبيقات العملية في التصميم والتعبير والأداء الفني مما يجعله كتابا مرجعيا وسفرا مهما لمن يبحث عن أسس التشكل والإبداع في الفن في إطار النظرية المعرفية الإسلامية والرؤية الحضارية للأمة. وقد انجز هذا الكتاب ضمن رؤية جماعية إذ شارك في إعداده عدد من الباحثين والعلماء من تخصصات معرفية وبيئات جغرافية متنوعة أسهمت في التعبير عن عناصر الوحدة والتنوع في الحضارة العربية الإسلامية.

تعقيب على الدراسات السابقة وموقع الدراسة الحالية منها

بالنظر إلى الدراسات السابقة يتبين أنه بالرغم من الموضوعات المختلفة التي تناولتها، إلا إنها جسدت قدراً من الاهتمام بقضية الفن في الإسلام، وعكست الحاجة إلى المزيد من البحث عن هذا الموضوع، ولا سيما ما يتصل بمقاصد الفن الإسلامي ومعاييره، وهي المواضيع التي لم تتطرق إليها هذه الدراسات بشكل علمي شامل ومتكامل كشأن البحث الحالي، ومع أن البحث الحالي أفاد من الدراسات السابقة في الأدب التربوي الذي قدمته، وفي المنهجية التي اتبعتها بما يخدم الغرض منه، إلا أنه يتميز عن الدراسات السابقة في موضوعه ومنهجيته.

نتائج البحث واستدلالاته

تم التوصل إلى نتائج البحث واستدلالاته من خلال الإجابة عن كل سؤال من أسئلته الثلاثة وقد قسم البحث إلى عدد من المباحث والمطالب وفقا للإجابة عن أسئلته على النحو التالي

أولاً: نتائج الإجابة عن السؤال الأول ونصه: ما الفن الإسلامي ومقاصده.؟

للإجابة عن هذا السؤال، تم الرجوع إلى الأدب السابق المتصل بالموضوع، والاستشهاد ببعض النصوص الإسلامية، واستقراء ما فيها من دلالات، للتوصل إلى مفهوم الفن الإسلامي ومقاصده.

وتتناول الإجابة عن هذا السؤال مبحثين هما: مفهوم الفن الإسلامي، ومقاصد الفن الإسلامي على النحو التالي:

المبحث الأول: مفهوم الفن الإسلامي:

سبقت الإشارة إلى أن الكتب التي تحدثت عن مفهوم الفن من منطلق إسلامي كانت قليلة ولأسباب عدة، مما جعل تعريفات الفن الإسلامي قليلة.ولعل ما ذهب إليه محمد قطب في كتابه منهج الفن الإسلامي الذي يُعد من أهم ما كتب في هذا الموضوع، حيث جاء فيه: إن الفن الإسلامي ليس هو الفن الذي يتحدث عن حقائق العقيدة، ولا هو مجموعة من الحكم والمواعظ

والإرشادات، وإنما هو اشمل من ذلك وأوسع.أنه التعبير الجميل عن حقائق الوجود(الكون والحياة والإنسان) من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود (قطب، 1983، 179).

وعرف محمد شمس الدين صدقي المذكور في الشامي (1990، 36) الفن الإسلامي من خلال الحديث عن وظيفته فقال: هو الفن الذي ينقل أو يوصل اسمى وأفضل القيم والأفكار والمشاعر إلى الآخرين بأسلوب جميل الأثر، بحيث يوفر عنصر المتعة، إضافة إلى التأثير في سلوكهم وإرشادهم إلى الصراط المستقيم.

ونظراً لشمول مفهوم الفن الإسلامي وسعته، فإنه ليس من السهولة صياغة تعريف محدد له، بسبب كثرة العناصر التي ينبغي مراعاتها عند تلك الصياغة (الشامي، 1990) وهذا ما جعل محمد قطب في كتابه منهج الفن الإسلامي يفضل تعبير التعريف بالفن الإسلامي على تعبير تعريف الفن الإسلامي، لأنه التعريف في علم المنطق هو ما كان جامعاً مانعاً لعناصره وحدوده.

ورغم هذه الصعوبة في تعريف الفن الإسلامي، فإننا نرى أن أبسط تعريف لهذا الفن هو الفن المنسوب للإسلام والقائم على العقيدة الإسلامية ومفاهيمها حول الذات الإلهية والكون والحياة والإنسان، فالفن وفق هذا التعريف موصوف والإسلامي صفة تجسد رؤية الإسلام وتصوره بكل ما فيه، فهي رؤية معرفية تشمل كل جوانب الحياة، وتستوعب الآخر ولا تقصيه، بل تحض على انتمائه داخل المنظومة الحياتية المتكاملة للإسلام، فكل تعبير فني باللفظ أو النغمة أو الحركة أو الشكل ينطلق من الإسلام أو يلتقي معه يُعد فناً إسلاميا، حتى لو كان الفنان غير مسلم، لأن الإسلام عقيدة حياة، ورؤية معرفية متكاملة، ودين شامل يتخلل كل جزئية من جزئيات من يعيش في كنفه (القفاش، 1986).

ونظرا لشمول مجالات التعبير الفني وتعددها التي تنطلق من الاسلام أو تتفق معه تتحدد ماهية الفن الإسلامي بأنه نسق بنائي متكامل من الفنون، متصف بصفات وخصائص مستمدة من خصائص الإسلام، ومعبر عن الجمال في الحياة والكون بصيغ جمالية تبرز عظمة الخالق وتعزز الإيمان به سبحانه وتعالى.

ويعد الفن الإسلامي أفضل الأسماء للفنون التي ازدهرت في العالم الإسلامي، وليست الأسماء الأخرى التي أطلقها الغربيون على هذا الفن، عندما بدأوا بدراستهم له مثل الفن الشرقي، والفن المغربي، والفن المحمدي، فهي أسماء غير جامعة ولا صحيحة، إما لأن بعضها لا يصلح إلا لجانب من هذا الفن، أو لأنها بعيدة عن الدقة، أو لأنها تخالف الحقائق الثابتة (حسن، د.ت).

المبحث الثاني: مقاصد الفن الإسلامي

المقاصد مفهوم مشتق من الفعل قصد، وكلمة قصد لها في اللغة معان عدة، يقال: قصد قصداً استقام، وقصد الشاعر أنشأ القصائد، وقصد له واليه توجه إليه عامدا، وقصد في الأمر توسط ولم يفرِط ولم يفّرط، وقصد في الحكم عدل، وقصد في النفقة لم يسرف، وقصد في مشيته اعتدل، والمقصد الوجهة، يقال إليه مقصدي أي وجهتي(انيس، زملاؤه، 1972، 738).

ونستنتج من المعاني اللغوية للمقاصد إنها تتصف بالاستقامة، وحسن التوجه المقصود، والتوسط والعدل والاعتدال دون إفراط أو تفريط.

وبناء على هذه المعاني فأن مقاصد الفن الإسلامي تعنى ما يتوجه إليه الفن الإسلامي عامداً من الأهداف والأغراض والغايات من خلال وظائفه والمهمات التي يقوم بها.وهناك ارتباط بين وظيفة الفن الإسلامي وغايته، إذ كل وظيفة أو مهمة لها غاية تسعى إليها، فالوظيفة تبين ميدان عمل هذا الفن في حين تبين الغاية مساره حتى يصل إلى ما يرنو إليه (حسن، د.ت) وقد تعدد ذكر مقاصد الفن في كتب أهله، بتعدد آراء الفلاسفة في وظيفة الفن وغايته. والمتأمل في الآراء التي قدموها يجد أن هناك رأيين رئيسين ذكرهما الغزالي (2011) وهما: -

1- إن الفن منزه عن أن يكون له غاية محددة، بل هو غاية قائمة في ذاته، وذلك بما يحدثه من المتعة واللذة والبهجة، ويعبرون عن هذه اللذة والمتعة بالجمال أو إدراك الجمال فيجعلونه غاية الفن، دون أن يكون للجمال علاقة بالخير والشر أو الحق أو الباطل، وبذلك يكون الفن غير مرتبط بغاية خلقية أو دينية أو اجتماعية أو فلسفية، كما يكون الفنان غير مقيد بغاية وهو ما يعبر عنه بحرية الفنان. ومن أنصار هذا الرأي أفلاطون وأرسطو وكثير من الفلاسفة قديماً وحديثاً.

2- إن الفن له غاية ومنفعة، إضافة إلى كونه معبرا عن الجمال، ومن أنصار هذا الرأي سقراط والأخلاقيين ومن صار على هذا النهج من الفلاسفة والمفكرين. ويرى الباحثان أن الرأي الثاني يلتقي مع مقاصد الفن الإسلامي وغاياته، يقول البستاني (1992، 12) " التصور الإسلامي ينطلق في ممارسته للفن من مفهوم عبادي خاص هو أن الاشباع الجمالي الصرف لا قيمة له ألبته ما لم يقترن بهدف، كما أن الالتزام بهدف ينبغي أن يتحدد وفق مبادئ الإسلام ".

ويرى العلماء المسلمون أن مقاصد الفن ينبغي أن تكون جميلة ورشيدة. يقول ابن الأثير (ت، 630هـ) في معرض تعريفه للجمال بأنه البهاء والحسن والزينة التي تقع على الصور والمعاني، وأن خروج الفنون عن المقاصد الرشيدة، يجردها من شرف الاتصاف بالجمال. كما يرى ابن سينا (ت 428هـ) قبل عشرة قرون أن جمال المقاصد والغايات شرط في وصف الفنون بصفة الجمال فيقول: جمال كل شيء وبهائه هو أن يكون على ما يجب له (عمارة، 1991) فالفن الإسلامي، أو الفن المتسق مع الإسلام هو ذلك الذي يحقق مقاصده في أمته وفي الإنسانية، عندما تشيع فيه الصبغة التي صبغت بها عقيدته وميزت بها أيديولوجية إبداع الإنسان الفنان، إنها خيوط غير مرئية، تلك التي تربط الوضع الإلهي بالإبداع الإنساني الجميل، فما مقاصد الفن الإسلامي وغاياته؟

إن جميع الممارسات الفنية المتسقة مع الإسلام لها غايات ومقاصد وآثار، وننظر في وصفها بالرجوع الى الميزان العدل الحق، وهذا الميزان لا يخرج عن ثلاث ركائز هي: الفطرة السليمة، والدين الحق المنزه عن التبديل، والعقل (الغزالي، 2011) وهذه الركائز تعد معايير مهمة ينبغي أن يقوم عليها الفن الإسلامي.

ولما كان الفن وسيلة إلى مقصد، فإن الفن الإسلامي وسيلة إلى بلوغ مقاصد الإسلام: في بناء شخصية الإنسان بشكل متوازن بعيداً عن الانحراف والفساد، وإتباع الحلال وتجنب الحرام في الأعمال والممارسات، واستخدام الجهد الإنساني وإبداعه في الخير لا في الشر، وفي البناء لا في الهدم، وإشاعة البهجة والسرور في حياة الناس من خلال التمتع بمظاهر الجمال والزينة التي أخرجها الله لعباده.

وعليه يمكن استقراء مقاصد الفن الإسلامي التالية:

1- إثارة الانفعالات الوجدانية، وإشاعة اللذة الفنية بهذه الإثارة، والرقي بمشاعر الإنسان وأحاسيسه في تلمس مواطن الفن الجميل في الأمور المعنوية والحسية.

2- التربية الجمالية للإنسان، من خلال إدراكه مظاهر الجمال وتذوقه في جميع جوانب حياته الخاصة والعامة.

3- تهذيب سلوك الإنسان والسمو به إلى ما هو أخلاقي، إذ إن أي عمل فني نظيف وهادف هو أخلاقي في حقيقته، فالصور الفنية الايجابية التي تعكس حياة الناس في نبلها وجمالها تفرض الاهتمام والحب والإعجاب، وتعطي متعة وبهجة جماليتين، أما الصور السلبية، فإنها تثير مشاعر الاستنكار الأخلاقي التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمشاعر الازدراء والاحتقار التي نحس بها عندما ندرك ما هو قبيح وهابط، لذلك فإن وحدة البعد الجمالي مع البعد الأخلاقي في الفن الإسلامي هو أساس الدور التربوي الذي يقوم به هذا الفن في الحياة الاجتماعية ويعطيها بهاء وبهجة وتميزاً.

4- التجسيد العملي لمفاهيم العقيدة الإسلامية في نظرتها إلى الخالق سبحانه والإنسان والكون والحياة، وذلك من خلال الأعمال والممارسات الفنية التي يقوم بها الفنان المسلم الملتزم، التي تبرز قدرة الخالق وعظمته فيما خلق دقة وروعة وجمالاً.

5- إبراز الدور الحضاري للإسلام.فيما قدمه من انجازات علمية وثقافية للبشرية وبخاصة في مجال الفنون، من خلال التعريف بأهمية الفن الإسلامي ومقاصده في خدمة الحياة الإنسانية، وتحقيق مصالحها، والتقريب بين الأمم والشعوب، وتعاونها في حفظ الانجازات الفنية باعتبار أن الفن هو التسجيل التاريخي للتراث.

ومن مطالب هذا البحث:

المطلب الأول:موقع مقاصد الفن الإسلامي من مقاصد الشريعة:

لم تتطرق البحوث والدراسات السابقة إلى هذه المسألة قيد البحث في حدود علم الباحثين، لكونها من القضايا المستجدة، لهذا تظل ضمن دائرة الاجتهاد والفهم التحليلي لمقاصد الشريعة الإسلامية وتنزيلها على مقاصد الفن الإسلامي. ولبيان هذه المسألة نعرض أولا لمقاصد الشريعة الإسلامية، ومن ثم النظر في مقاصد الفن الإسلامي واستنتاج ما تمثله من مقاصد الشريعة:

تعرف الشريعة الإسلامية:بأنها كل ما شرعه الله للناس من أحكام لتنظيم حياتهم في القران الكريم أو سنة الرسول صلى الله عليه وسلم (هندي، 2002.5) فكل ما شرعه الله تعالى من أحكام ترمي إلى غايات مقصودة، " وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ، مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (الدخان: 38، 39) وقوله " أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عبثا (المؤمنون، 115) وما أرسل سبحانه الرسل وانزل الشرائع الا لإقامة نظام البشر (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) (الحديد: 25).

وباستقراء أدلة كثيرة من القرآن والسنة يتعزز لدينا اليقين بأن أحكام الشريعة الإسلامية منوطه بحكم وعلل، تعود بالصلاح العام للأفراد والمجتمع تسمى مقاصد الشريعة.وقرر فقهاء المسلمين أن المقصد الأعظم من الشريعة هو جلب المصالح ودرء المفاسد (الشاطبي، 2005، 63) وتعني المصلحة وصف للفعل الذي يحصل به الصلاح، أي النفع، أما المفسدة فهي وصف الفعل الذي يحصل به الفساد أي الضرر.

وتعرف مقاصد الشريعة أو مقاصد التشريع العامة للإسلام تعريفات عدة عند علماء المسلمين أوردها الريسوني(2015، 5) منها:

تعريف ابن عاشور: إنها المعاني (المبادئ والقيم)والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها.

وتعريف علال الفاسي: إنها الغاية من الأحكام، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها.

والأمور التي تعرف بها مقصود الشارع أربعة هي: الأمر بالشيء والنهي عنه صراحة، واعتبار علل الأمر والنهي، واعتبار المقاصد التابعة (الخادمة للمقاصد الأصلية)، وسكوت الشارع مع توافر دواعي البيان والتشريع (الريسوني، 2015، 145).

ويذكر الجندي (2013) أن الشارع سبحانه وتعالى لا يأمر الا بمصالح العباد في المعاش والمعاد، والعقول والفطر توافقه فيصدقه صريح المعقول وصحيح المنقول.

المطلب الثاني: أقسام مقاصد الشريعة:

المقاصد التي هدفت الشريعة إلى تحقيقها هي الضروريات والحاجيات والتحسينات والأمور التي تكملها (ابن عاشور، 2005، 63) (هندي، 2002، 68) وفيما يلي بيان لها:

1- الضروريات: وهي مصالح لا بد للناس منها لأن حياتهم تتوقف عليها، وإذا فقدت اختلت حياتهم وحل الفساد فيها، وتنحصر هذه المقاصد في المحافظة على أمور خمسة هي حفظ الدين، والعقل، والنفس، والنسل، والمال. وحافظت الشريعة الإسلامية على هذه الضروريات بأن جعلتها قطعية الأحكام لا مجال للاجتهاد فيها، وشرعت نظام العقوبات المتمثل في القصاص والحدود والتعزير لكل من يحاول الاعتداء عليها.

2- الحاجيات: وهي الأمور التي يحتاج الناس إليها، التي لا بد منها للتوسعة عليهم ودفع الحرج عنهم، وإذا فقدت لا تختل حياتهم ولكن يصيبهم ضيق وحرج ومشقة. ومن أمثلتها الرخص الشرعية، والتمتع بالطيبات، وأن معظم قسم المباح في المعاملات هي من الحاجيات(ابن عاشور، 2005، 82).

3- التحسينات: وهي ما تقتضيه مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، وكل ما يقصد به سير الناس في حياتهم على أحسن منهاج، وإذا فقدت التحسينات لا يختل نظام حياة الناس كما إذا فقدت الضروريات، ولا ينالهم الحرج كما إذا فقدت الحاجيات، ولكن تخرج حياتهم عن النهج الصحيح والأذواق السليمة، فهي تقع موقع التحسين والتزين، فالمصالح التحسينية هي ما كان بها كمال حال الأمة في نظامها حتى تعيش آمنة مطمئنة، ولها بهجة منظر المجتمع في مرأى بقية الأمم، حتى تكون الأمة الإسلامية مرغوباً في الاندماج بها أو في التقرب منها، والحاصل إنها مما تراعى فيه المدارك البشرية. ومن التحسينات ستر العورة، والنظافة، وإزالة النجاسات، وإماطة الأذى، ومن التحسينات أيضا عند الغزالي سد ذرائع(وسائل)الفساد، فهو أحسن من انتظار التورط فيه(ابن عاشور، 2005، 81).

أما الأمور المكملة لهذه المقاصد فتسمى بالمكملات، من أمثلتها في الضروريات أن الزواج حينما شرع محافظة على النسل، أكمله الله بتحريم الزنا بكل مقدماته كالخلوة، وكشف العورة. ومن أمثلة المكملات في الحاجيات، أن البيع حين أبيح أكمله الله تعالى بالإشهاد عليه وكتابته. أما التحسينات فمن أمثلة مكملاتها: أن الأضحية حين شرعت أكمل الله مشروعيتها بأن تكون سليمة خالية من العيوب.

ويتبين مما سبق أن التحسينات جاءت مكملة للحاجيات، والحاجيات مكملة للضروريات، وأن الضروريات هي أصل المقاصد الشرعية كلها، ومن أخلَّ بها فقد أخلَّ بسواها.

وبالنظر إلى موقع مقاصد الفن الإسلامي من مقاصد الشريعة الإسلامية نستنتج أن هذا الموقع يّمثل التحسينات بدلالاتها التي اشرنا إليها، وتتفق هذه النتيجة مع ما أظهرته دراسة الشامي (1990، 38) من أن ميدان الفن الإسلامي ليس هو الضروريات ولا الحاجيات بل هو مجال التحسينات التي جاءت مكملة للحاجيات.

ثانيا: نتائج الإجابة عن السؤال الثاني ونصه، ما مصادر الفن الإسلامي وخصائصه؟

لإجابة عن هذا السؤال، تم الرجوع إلى الأدب السابق المتصل بالموضوع من البحوث والدراسات والكتب، وتتبع الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريعة، واستقراء ما فيها من دلالات، للتوصل إلى مصادر الفن الإسلامي وخصائصه.وتتناول الإجابة عن هذا السؤال مبحثين هما: مصادر الفن الإسلامي، وخصائص الفن الإسلامي وذلك على النحو التالي:

المبحث الأول: مصادر الفن الإسلامي:

1- القرآن الكريم: هو كتاب الله تعالى الموحى به بواسطة جبريل عليه السلام إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ليكون المصدر الأول والأساس للإسلام فكراً وسلوكاً وثقافة وحضارة.وعلى القران والحديث قامت العقيدة الإسلامية، التي حددت مفاهيم الإسلام عن الكون والإنسان والحياة، وموقفه من العلوم والفنون وأهميتها ودورها في خدمة حياة الناس، ولما كان الفن الإسلامي هو الفن القائم على الإسلام، والقرآن هو المصدر الأول للإسلام، فإن القرآن هو المصدر الأول لفلسفة هذا الفن، الذي رسم معالمه شكلاً ومضموناً ومقاصد، ليجسد بذلك رؤية معرفية إسلامية عن الفن، يتم التعبير عنها بصيغ جمالية في نسق متجانس، فيولد في الإنسان إحساسا بوجود الخالق والتفكير في عظمة ما خلق ليصل به إلى الإيمان بالله. قال تعالى "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ " (آل عمران:190، 191).

والقرآن هو مصدر التعرف إلى آيات الله بكل ما تجسده من روعة وجمال وإتقان في الآفاق والأنفس. " قال تعالى " سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (فصلت:53) وعن دقة خلق الإنسان في أحسن صورة قال تعالى: " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ " (التين: 4) وقال " يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ، فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ "(الانفطار: 6-8).

ولم يكتف القرآن الكريم بعرض الآيات التي تظهر جماليات خلق الإنسان والكون وإنما دعانا إلى الأخذ بالزينة والأمر الحسن في القول والعمل وحتى عند أداء الصلاة فقال" يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ "(الأعراف: 31) وأقّر الزينة ومشروعيتها في أكثر من سورة فقال على سبيل المثال " قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ" (الأعراف: 32) وجعل من سور القرآن سورة باسم الزخرف فقال" وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُون، وَزُخْرُفًا " (الزخرف:34-35).

2- الحديث النبوي الشريف

يتمثل الحديث النبوي فيما ورد عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، وهو المصدر الثاني للإسلام بعد القرآن الكريم في أحكامه وتشريعاته المنظمة والموجهة لسلوك الإنسان وأعماله في الحياة بكل جوانبها؛ لذلك كانت طاعة الرسول من طاعة الله، والأخذ بما جاء في الحديث من أوامر ونواه واجب شرعي قال تعالى " وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا، وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ" (الحشر: 7).

ويعد الحديث النبوي المصدر الثاني للفن الإسلامي، بما اشتمل عليه من توجيهات وأحكام تشكل جانباً مهماً من الرؤية المعرفية الإسلامية للفن، التي تبني على أساسها الممارسة الشرعية للفن، ولعل ذلك يتضح من خلال الأحاديث النبوية الآتية:

- عن أبي طلحة قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تصاوير " رواه البخاري ومسلم، حديث رقم (4489) باب التصاوير (التبريزي 1979، ج2)
- وعن عائشة رضي الله عنها أنها اشترت نمرقة (وسادة صغيرة) فيها تصاوير، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على الباب، فلم يدخل، فعرفت في وجهه الكراهة. قالت: فقلت يا رسول الله؛ أتوب إلى الله وإلى رسوله، ما اذنبت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بال هذه النمرقة، قلت: اشتريتها لك لتقعد عليها، وتوسدها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم، وقال: إن البيت الذي فيه الصورة لا تدخله الملائكة " رواه البخاري ومسلم، حديث رقم (4492)، باب التصاؤير، كتاب اللباس (التبريزي، 1979، ج2).
- وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم: اشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون (يشابهون) بخلق الله " رواه البخاري ومسلم، حديث رقم (4495) كتاب اللباس، باب التصاوير (التبريزي، 1979، ج2)
- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة نفساً، فيعذبه في جهنم، "قال ابن عباس: فإن كنت لا بد فاعلا فاصنع الشجر وما لا روح فيه". رواه البخاري ومسلم، حديث رقم(4498)، كتاب اللباس، باب التصاوير (التبريزي، 1979، ج2).

- وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: احيوا ما خلقتم ".رواه مسلم في اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة حديث رقم (2108).

- وعن سعيد بن ابي الحسن قال: كنت عند ابن عباس، إذ جاءه رجل فقال: يا ابن عباس إني رجل، إنما معيشتي من صنعة يدي، وإني أصنع هذه التصاوير، فقال ابن عباس: لا أحدثك إلا بما سمعت من رسول صلى الله عليه وسلم، سمعته يقول:" من صّور صورة، فإن الله معذبه حتى ينفخ فيه (فيما يصور)الروح، وليس بنافخ فيها ابداً، فربا(فزع) الرجل ربوة شديدة، واصفر وجهه فقال: ويحك إنْ أبيت إلا أن تصنع، فعليك بهذا الشجر وكل شيء ليس فيه روح." رواه البخاري، حديث رقم (4507) كتاب اللباس، باب التصاوير، التبريزي، 1979، ج2)0

- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذره من كِبْر، فقال رجل: إن الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسناً، قال: " إن الله تعالى جميل يحب الجمال، الكِبْر بطر الحق وغمط الناس". (مسلم، 2000، ج2، حديث رقم 147).

- عن عطاء بن يسار قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، فدخل رجل ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، كأنه يأمره بإصلاح شعره ولحيته، فعمل ثم رجع. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أليس هذا خير من ان يأتي أحدكم وهو ثائر الرأس كأنه شيطان " (رواه مالك، حديث رقم 4486) كتاب اللباس، باب الترجل (التيريزي، 1979، ج2)

- وعن حذيفة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول، لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها " رواه البخاري في كتاب الاشربة (باب الشرب في آنية الذهب والشرب في آنية الفضة (83/10) ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب حديث رقم (2067).

- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رض الله عنهما قال: رأى النبي صلى الله عليه وسلم علي ثوبين معصفرين، فقال: أُمك أمرت بهذا؟ قلت: اغسلهما قال: بل احرقهما. وفي رواية فقال: إن هذا ثياب الكفار فلا تلبسهما ". رواه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر، حديث رقم (2077).

- عن ابي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: لقد أُوتيت مزماراً من مزامير آل داود: رواه البخاري ومسلم. وفي رواية لمسلم: أن رسول الله قال له: لو رأيتني وأنا استمع لقراءتك البارحة. رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن (باب حسن الصوت بالقراءة) ومسلم في كتاب المسافرين (باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن).

يتبين للباحثين بعد النظرة الشاملة للأحاديث النبوية السابقة، أنها تناولت جملة من الموضوعات والأحكام التي شكلت إطارا موجهاً لمنهج الفن الإسلامي في الأبعاد التالية: تأكيد عقيدة التوحيد وعدم الإشراك بالله في أي ممارسة فنية، والحرص على أن يكون العمل الفني طيباً وحسناً وبعيداً عن كل ما يسيء إلى الأخلاق مثل التكبر والخيلاء والفساد، وإبراز الأصالة في الفن بالمحافظة على هوية الأمة والابتعاد عن التشبه بالكفار؛ واحترام فطرة الإنسان وما يليق بها، وتحريم التصوير والتماثيل التي فيها مظنة الإشراك بالله ومضاهاة خلقه، وتحريم لبس الحرير والديباج واللباس المزركش، وتحريم استخدام الذهب والفضة والأكل فيها، واستحباب حسن الصوت وحلاوة نغمته في الاستماع.

وباستقراء ما روي من الأحاديث السابقة في الصور والتماثيل، نجد أن تحريمها مرهون ومشروط ومعلل بسبب اتخاذها أندادا تشارك الله في الألوهية والربوبية والعبادة والتعظيم، فإذا ما انتفى هذا السبب انتفى التحريم وعادت الإباحة حكماً للصور والتماثيل. كما أن هذه الأحاديث التي تنهي عن الصور والتماثيل إنما كانت تعالج شؤون جماعة بشرية هي قريبة عهد بالشرك والوثنية وحديثة العهد بالإسلام، الأمر الذي استدعى تركيز الأحاديث النبوية على اتخاذ تحريم الصور والتماثيل سداُ للذرائع، وتقديماُ لدفع المضرة على جلب المصلحة، إضافة إلى أن الصور في الأحاديث يراد بها الصنم والوثن المعبود من قبل المشركين، حيث لم تكن في مكة أو المدينة وما حولهما آلات للتصوير، إنما كان يتم التصوير بالنحت أو بالرسم أو الحفر على الجدران والأثاث، من هنا كان النهي عن الصور وذم المصورين هو حديث عن الأصنام والأوثان والذين يحترفون صناعتها، وليس حديثاً عن الصور والمصورين بالمعنى الذي يراد اليوم عند الحديث عن فنون التشكيل وفنانيها(عمارة، 1991، 118-119).

3- التراث الإسلامي: ويتمثل هذا المصدر في ما خلفه العلماء والمفكرون المسلمون من انجازات مثل بعض النظريات الجمالية في كتاباتهم، خاصة الأدباء منهم أمثال التوحيدي والزمخشري، أو الأصوليين كأبي حامد الغزالي (مراد، 2007) إضافة

إلى التجليات والأعمال الفنية التي أبدعها وقدمها الفنانون ضمن المخزون التراثي الإسلامي، لا سيما ما يتصل منها بالفنون البصرية كالخط والزخرفة والعمارة.وما سجله العلماء السابقون من تفسير للنصوص الإسلامية من القرآن والسنة بما يرتبط بموضوعات الفن والجمال وحكم الإسلام فيها.كل ذلك شكل ثروة للفن الإسلامي حققت له التميز والاستقلال، وهو ما يستدعي استلهام التراث من خلال الدراسة الدقيقة لما قدمه السابقون من إبداعات فينة.

4- التجربة الفنية للحضارات السابقة: استفاد الفن الإسلامي من الفنون التي كانت سائدة في البلاد التي فتحها العرب، التي أصبحت جزءا من الدولة الإسلامية، وهي الفن الساساني والبيزنطي والروماني والهندي.وفنون الصين وآسيا الصغرى، الا أن الفن الإسلامي لم يأخذ كل ما يصادفه من فنون الحضارات من موضوعات وعناصر، بل وقف منها موقف الفاحص الناقد، فأمضى فترة طويلة في عملية استجماع العناصر الزخرفية من هذه الفنون، واختيار ما لا يتعارض مع أحكام الإسلام، ويلاءم ذوقه وخاصيته وإبعاد ما ينص على كراهيته.وهذا دليل قوة حيوية الفن الإسلامي وعظمة شخصيته في التفاعل مع التجربة الفنية للحضارات السابقة، وتهذيبها وفق مفهومه ومنهجه. وقد أوضح ديماند (1982): كيف أن هذا الفن العظيم الذي رضع في طفولته شتى الألبان، ومهم بين مختلف انواع الفنون والجمال، قد استأثر بإعجاب العالم الأوروبي، وغدا بدوره مصدراً من مصادر اقتباسها، وذكر في مواضع عديدة اثر الفن الإسلامي على فنون الغرب ورجالها، حيث انتقل تأثير الفن الغربي الإسلامي إلى أوروبا عن طريق اسبانيا وصقلية وتركيا، وكان للحروب الصليبية دور فعال في هذا النقل، واستمر اثر الفنون الإسلامية على الفنون الأوروبية حتى القرن الثالث عشر مع بداية دخول الاستعمار للبلاد العربية (جودي، 1999).

5- الكون (الطبيعة): يشكل النظر والتدبر في كتاب الله المقروء المتمثل في القرآن الكريم، وفي كتابه المنظور المتمثل في الكون أو ما يسمى بالطبيعة، منبع التعرف على آيات الله تعالى الدالة على عظمته وبديع خلقه. فجماليات خلق الإنسان والكون في السماء والأرض والبحار والأنهار والأنعام شكلت مصدرا رئيساً للفن الإسلامي في تجلياته وأعماله الفنية:

قال تعالى في خلق الإنسان على أحسن هيئة " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" (التين:4). وقال "الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ، فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (الانفطار: 7-8)

وقال تعالى في بناء السماء وجمال زينتها "أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ"، وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ"(ق: 6-8).

وقال تعالى عن الدقة المتناهية في حركة الأجرام السماوية بأشكالها المتنوعة، وفي التناسق البديع لتعاقب الليل والنهار وتبادل أدوارها: "وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ، وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ، لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ"(يس: 37-40).

وقال تعالى عن الطير وهي محلقة في الجو ترفرف بأجنحتها، تقبضها حينا، وتبسطها أحيانا أخرى:" أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ"(الملك:19).

وعن الأرض وما فيها من محيطات وبحار وانهار قال تعالى: "أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ"(النمل:60).

وعن جمال النبات والزرع والنخل الباسقات قال: "وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ، وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ، رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ"(ق:9-11).

وعن دلالات الألوان(أمين، 2011) واختلافها في الزروع والصخور والناس والدواب والإنعام قال سبحانه "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ، وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ"(فاطر:27-28).

وعن اصناف الأنعام والحيوان التي تشكل مع ما على الأرض من نبات وزرع وثمار لوحة فنية واحدة قال تعالى:" وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ "(النحل 5-6). وقال تعالى: "وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ " (النحل: 8).

المبحث الثاني: خصائص الفن الإسلامي

يمكن القول إن الفن الإسلامي يختلف في تجلياته ومجالاته عن الفنون الغربية قديما وحديثا. ويرى مراد (2007): أن ذلك

يرجع لاختلاف الفلسفة التي توجهه وتكمن خلفه، عن تلك التي شكلت روح الفن الغربي، وانتهاء بالفن الأوروبي الذي كانت بدايته في عصر النهضة، الذي عرف بالفن الحديث.

والفلسفة التي تقف خلف الفن الإسلامي تتمثل في العقيدة الإسلامية التي عملت على صياغة أسس هذا الفن، وجعلت له شخصية مستقلة ذات سمات وخصائص محددة.

ومن أهم خصائص الفن الإسلامي:

1- فن منضبط بثوابت الإسلام: وهذه الثوابت تتمثل في ما جاء به الإسلام من عقيدة وشريعة منظمة لعلاقة الإنسان بالله وعلاقته بنفسه وعلاقته بالحياة، وفق قاعدة الحلال والحرام. لذلك كان الضابط الأول لعمل الإنسان ومنه العمل الفني، هو ابتغاء الدار الآخرة والعمل لها، دون نسيان الدنيا أو الحرمان من متعها أو تبغيضها للنفوس أو الإفساد فيها.

2- فن منفتح يأبى الانحراف: الفن الإسلامي فن منفتح على شتى المذاهب الفنية، ما دامت منسجمة في اتجاهها معه، بعيدا عن التزييف والكذب والتناقض. يقول عماد الدين خليل في وصف الفن الإسلامي (1981): هو فن يتسع لكل المذاهب ويزيد عليها في سعة نظرته الكونية وعمقها وشمولها. وهو فن كلاسيكي حين يعبر عن التناسق الرائع للأشياء، وهو رومانسي حين يعبر عن أعماق الإنسان المؤمن وعن تجاربه الشعورية المتنوعة التي تنبثق عن الإيمان بالله، وهو واقعي حين يعلن ثورته الانقلابية على كل القيم المنحرفة عن الصراط المستقيم، وهو وجداني في تعبيره عن نظرة الإنسان الشخصية المستمدة من تجربته الإيمانية.

ومع ذلك كله، فهو فن يأبى الانحراف... يأبى تأليه الإنسان كلاسيكيا، وإغراقه الذاتي الأناني رومانسيا، وتمجيد لحظات الضعف واقعيا، وتصوير الانحراف الفكري أو النفسي أو الأخلاقي وجوديا... فليس ثمة عبثاً ولا جدوى كما يرى كامي، وليس ثمة لا معقولية للحياة والوجود كما يرى كافا، وليس ثمة حرية أخلاقية مطلقة من كل قيد كم يرى سارتر، وليس ثمة تناقضات نفسية لا نهاية لها، تنتهي دائما بالضياع كما يرى دستوفسكي.

3- فن مرن يجمع بين الوحدة والتنوع: الفن الإسلامي مرن بتنوعه العظيم، الذي أصاب نواحيه وأشكاله وصناعاته وزخرفته وأقاليمه ورجاله، تنوع يبلغ حدا يصعب معه أن نجد تحفتين متماثلتين فيه؛ ومع ذلك فهو يتصف بالوحدة ولعل هذه الوحدة تتضح من عرض صور متنوعة لتحف مصنوعة في العصور الإسلامية، مثل قطعة من العاج الأندلسي، وثانية من النسيج المصري، وثالثة من المعادن الإيرانية، حيث يشعر الناظر إليها بوحدة أساليبها وانتمائها إلى الفن الإسلامي. وهذا ما اعترف به ديماند بقوله (1982): إن الفن الإسلامي وحدة قوية متماسكة، تتطبع بمظاهر واحدة، وتستمد روحها من الهام واحد، مهما تباينت عناصرها، وتنوعت أشكالها، واختلفت صناعاتها، وبعدت الشقة بين مواطنها. ويورد مراد(2007) ما قرره المستشرق بوركهات في كتابه الفن الإسلامي، من أن وحدة الفن الإسلامي هي السمة العجيبة التي تميزه عن بقية الفنون العالمية، وهي نابعة من روح الدين الإسلامي، دين الوحدانية والتوحيد الإلهي.

4- فن ملتزم: يمتاز الفن الإسلامي بأنه فن ملتزم فكريا واخلاقيا، فهو بكل ما يعبر عنه من صيغ جمالية وسيلة إلى تحقيق الغاية من خلق الإنسان وهي عبادة الله وتمثل أوامره ونواهيه " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"(الذاريات: 56) وهو بذلك لا يعترف بالفن للفن كما يرى الفن الحديث، وإنما يرى أن الفن للحياة والتعبير عن آمالها وآلامها وقضاياها ومشكلاتها.

5- فن يتصف بالتجريد: التجريد في الفن مصطلح مشتق من الفعل جرد، يقال: جرد الشيء من معناه: إذا خلا، وجرد الجلد: إذا نزع منه الشعر، وجرد القحط الأرض: اذهب ما فيها. ومنه التجريد: عزل صفة أو علاقة عزلا ذهنيا، وقصر الاعتبار عليها، أو ما يترتب على ذلك. ومنه المجرد ومعناه: ما يدرك بالذهن دون الحواس. ومنه التجريدية من الناحية الفنية: وهي اتجاه حديث يقوم على تصوير فكرة الفنان أو شعوره تصويرا لا يعتمد على محاكاة لموضوع معين مع استخدام الألوان أو الأشكال الهندسية، أو الأنغام الموسيقية (انيس وزملاؤه، 1972).

والتجريد في الفن الإسلامي هو ثمرة الرؤية الروحية للعالم أو لحقيقة ما وراء الكون، وهذا لا يتأتى الا عن طريق الخروج بالفن الإسلامي من عالم المنظور إلى عالم الرمز والحدس، بالابتعاد عن المحاكاة والتشبيه والتجسيم. والتجريد في الفن الإسلامي يختلف عن التجريد في الفن الغربي الحديث. ويذكر مراد(2007): أن الفن التجريدي الذي انتشر في أوروبا هو فن الأزمة الأوروبية، وهو في حالة اليأس التي وصل إليها الفنان أمام إشكاليات الانجازات الحديثة، التي هدمت بقدر ما أنشأت وهددت بمقدار ما طمأنت، ولقد أراد المثقف والمفكر والفنان ان يعبر عن مشاعر العبث، وهذه المشاعر لا وجود لها في الحياة الاجتماعية والفن الإسلامي. والفراغ والمبهم واللاشيء بأسلوب أطلق عليه اسم التجريدية.

ومن تطبيقات خاصية التجريد في الفن الإسلامي (الالفي، 1980):

1- كراهية تصوير الكائنات الحية، حفاظا على سلامة العقيدة الإسلامية بالابتعاد عن مضاهاة الخالق في خلقة.

2- الانصراف عن التجسيم والبروز كما يلاحظ في الزخارف الإسلامية كالأطباق النجمية وغيرها، وتغطية الفنان الصور الآدمية والحيوانية بشبكة من الزخارف التي من شأنها أن تمتص مادة الجسم وتحيلها إلى وحدات زخرفيه.

جـ - عدم محاكاة الطبيعة وتقليدها في كل عناصر الزخرفة الإسلامية، كما في العناصر النباتية والهندسية بصفة خاصة، فهي تميل إلى التجريد ولا تلتزم بالأشكال الطبيعية التي اقتبست منها، من خلال استخدام الوحدات الهندسية في العمائر والتحف مثل الدوائر المتماسة والمتجاورة والجدائل والخطوط المنكسرة والمتشابكة، فضلا عن الأشكال الهندسية كالمثلث والمربع وأشكال المعين والخماسي والسداسي. ونفس القول ينطبق على الزخارف النباتية، التي ابتعدت عن مظهر النبات الطبيعي، فظهرت مجردة بحيث لا يبقى من الساق والأوراق إلا خطوط منحنية متتابعة، ويطلق على هذا النوع من الزخارف النباتية المجردة الارابسك، وقوامه خطوط منحنية أو مستديرة أو ملتفة يتصل بعضها ببعض.

6- فن يتصف بالتأسلب واللانهائية: الفن الإسلامي لا يحاكي الطبيعة كالفن الغربي الحديث، وتعني المحاكاة نقل المادة الطبيعة نقلا حرفيا وتشبيهها وتقليدها. والمحاكاة طريقة فنية غربية، سيطرت على الفكر اليوناني بدءاً من أرسطو إلى عصر النهضة.

ولمخالفة الطبيعة لجأ الفن الإسلامي إلى طريقة التأسلب واللانهائية، وتستند هذه الطريقة أصلا إلى نفي الصفات السلبية عن الله تعالى، امتثالا لقوله: " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"(الشورى: 11) مثل الجسمية والمادية والتغير، فالذات الإلهية منزهة مطلقة لانهائية، لا يمكن للإنسان التعبير عنها، وصارت مقولة عدم الإدراك إدراك، أمرا مسلما به في الفهم الإسلامي، وهذا ما دفع بالفن الإسلامي إلى التعبير عن مظاهر قدرته تعالى في موضوعات الطبيعة باستخدام نمط فني يتمثل في الارابيسك والخط والزخرفة. ويسمى هذا النمط الفني الذي يتناول التعبير الجمالي عن موضوعات الطبيعة بصورة غير مألوفة بالنمط التأسلبي، حيث ترسم الشجرة أو الزهرة مثلا بطريقة مؤسلبة تخالف طبيعتها وبتكرارها بصورة لانهائية، وفي ذلك رفض لأي تفرد لها، وبالتالي إقصاء الطبيعة عن الوعي إلى الأبد(مراد، 2007)

ويذكر الفاروقي(1981): أن مفهوم التأسلب واللانهائية يتجلى في الارابيسك الذي تتجه أبعاده في الفراغ إلى ما لا نهاية، أنه يدفع بكل قوانا الواعية إلى تأمل الوجود الإلهي الأعظم، كما تجلى في إبداع الخط العربي حيث جعل الكتابة ذاتها فنا من فنون الارابيسك في أسلوبها الخاص.

7- فن يتصف بالرمزية: الرمزية مفهوم مشتق من الفعل رمز، يقال: رمز إليه: أومأ وأشار بأي شيء كان، ورمز إلى الشيء بكذا: دل به عليه، والرمز: العلامة، وفي علم البيان الكتابة الخفية، والرمزية: مذهب في الأدب والفن ظهر في الشعر أولا، يقول بالتعبير عن المعاني بالرموز والإيحاء، ليدع للمتذوق نصيبا في تكميل الصورة أو تقوية العاطفة، بما يضيف إليه من توليد خياله (انيس وزملاؤه، 1974).

والرمزية في الفن اصطلاح استعمله المستشرقون لتفسير الانتقال الذي تم في الفن الإسلامي من التشبيه إلى التجريد (البهنسي، 1974) حيث انتقل الفن الإسلامي من تصوير الأشياء بذاتها، إلى تصويرها من منظور روحي، إلى تصوير رمز الأشياء للدلالة عن معانيها، الذي تحول فيما بعد لكي يصبح رمزا للقيم الكبرى، وعلى رأسها قيمة القيم الله تعالى.

ويتجلى الجانب الرمزي في الخط العربي وفن الارابيسك. ويميز مراد(2007) بين الرمزية في الفن الإسلامي والرمزية في الفن التجريدي الأوروبي الحديث فيقول: إن الفن التجريدي المعاصر، حتى عندما يلتزم الأشكال الهندسية لا يوزعها توزيعا رياضيا متماثل الأجزاء.. بينما نجد الدائرة الزخرفية العربية عالم مشحون بالرموز الصوفية، والدائرة نفسها تمثل دائرة الفلك ومسار الكواكب، ودوران الليل والنهار، ومرور الشهور والسنين، والنجمة الثمانية في وسطها تستمد الرمز من أبواب الجنة الثمانية، وحملة عرش الله ثمانية في قوله تعالى "وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ، يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ"(الحاقة:17-18).

والفن الإسلامي زاخر بالرموز والإيحاءات للتعبير عن المعاني والدلالات الإسلامية، فعلى سبيل المثال نجد عناصر الزخرفة النباتية والهندسية، ليس لها بداية ولا نهاية، فهي تمتد لتعبر عن هذا الاستمرار الأزلي للحياة، وعن انطلاقة الروح الإنسانية من قيود المادة التي تحدها(الالفي، 1980).

وتظهر الرمزية بوضوح في فن العمارة، كالقباب التي تقام على الأضرحة لتعبر عن عناية السماء بالمتوفى."والمكعب شكل متساو لنفسه أبدا مهما تبدلت الزاوية التي ينظر من خلالها إليه، ليشير إلى أنه شكل غير متمثل للأبدية، بل الوصول إلى المطلق الروحي، والشكل التكعيبي للقبلة يؤكد أصل الكعبة التي بناها نبي الله إبراهيم، لتكون المركز بالنسبة للديانات السماوية التي انبعثت منها، وهي في جوانبها الأربعة وأركانها تقابل الاتجاهات الأصلية التي ترتبط بفكرة المركز، أما الكسوة فهي رمز تجريدي يعني معاملة الكعبة كجسم حي"، وعلى سمتها تكون بيوت الملائكة ثم العرش الذي تطوف حوله الأرواح السمائية، وهكذا كان الطواف في الحج يمثل دوران السماء حول محورها القطبي في مقابل الكعبة، وكان التعري من الثياب المعتادة ولباس الإحرام تجديد للخضوع لله (مراد، 2007).

وعلى الرغم من كل الدلالات الرمزية التي يعطيها الفن الإسلامي كما اشرنا في مظاهره السابقة، فأن بعض المستشرقين يحاولون أن يجردوا هذا الفن من مضامينه الرمزية ويحيلوه إلى مجرد زخارف لا معنى لها.

8- فن بعيد عن الترف يحول الخسيس إلى نفيس: انعكست خصائص الإسلام المتمثلة في التوسط والاعتدال وتحريم الإسراف والتبذير على الفن الإسلامي، الذي ابتعد عن الترف، فابتكر الفنان المسلم الخزف ذي البريق المعدني، وهو في أصله من الصلصال المحروق، ثم أضيفت إليه بعض المواد التي تكسبه بريقا معدنيا يجعله بديلا صالحا عن أواني الذهب والفضة. وكذلك بالنسبة للعمائر مثل المساجد، فالمحراب الذي يمثل مركز الأهمية في المسجد، كان بإمكان المسلمين أن يصنعوه من الذهب الخالص وأن يرصعوه بالأحجار الكريمة (الالفي، 1980). غير أن المحاريب صنعت في الأغلب الأعم من الخشب أو الجص أو الصلصال المشوي المزجج. وبذلك استطاع الفن الإسلامي أن يحول هذه الخامات الرخيصة- بما أسبغه عليها من زخارف دقيقة وألوان جميلة ومزواجة بين الخامات – إلى أعمال فنية نفيسة ورائعة.

9- فن يتجاوز الطبقية: انطلاقا من مبدأ العدالة التي يقيمها الإسلام في الحياة الإسلامية، فإن الفن الإسلامي كان تمثيلا صادقا لهذا المبدأ، مفتوحا أمام الجميع دون قيود، ذلك أن الإحساس بالجمال والتعبير عنه كما يذكر مراد (2007): لا يعرفان القيود الطبقية أو العنصرية الجنسية، فليس من الفن أن يكون طبقيا يتغنى بالرأسمالية أو الشيوعية أو العنصرية أو الإيديولوجية، فهي كلها قيود وسدود تؤدي إلى العزلة وابتعاد الإنسان عن أخيه الإنسان.

ويتبن من العرض السابق أن للفن الإسلامي تسع خصائص تؤكد أصالته وحيويته، وتنعكس على الفنان وممارسته الفنية.

نتائج الاجابة عن السؤال الثالث ونصه: ما معايير الفن الإسلامي؟

معايير الفن الإسلامي كما أسلفنا في تعريفات البحث هي جملة المواصفات والشروط والمقاييس التي ينبغي أن يكون عليها الفن الإسلامي. وتستخدم هذه المعايير في التمييز بين الفن الإسلامي وغيره من الفنون الاخرى.

وللإجابة عن هذا السؤال جرى اشتقاق هذه المعايير من نتائج الاجابة عن السؤالين الأول والثاني للبحث، المتصلة بمفهوم الفن الإسلامي ومقاصده ومصادره وخصائصه. وبعض هذه المعايير عام لا يمكن قياسه وبعضها خاص كما يلي:

1- التجسيد العملي لمفاهيم العقيدة الإسلامية في نظرتها الى الخالق والوجود من كون وإنسان وحياة، ضمن الممارسات الفنية، لتعزيز الايمان بالله ووحدانيته، وإبراز قدرته فيما خلق دقة وروعة وجمالاً.

2- الالتقاء مع مقاصد الشريعة الإسلامية في بناء شخصية الانسان وتربيته تربية جمالية بشكل متوازن، بعيداً عن الانحراف والفساد، وتوجيه الجهد الانساني وإبداعه نحو الخير لا الشر، والبناء لا الهدم، والحق لا الباطل، والحلال لا الحرام.

3- الانسجام مع فطرة الانسان ومطالبها واحترام عقله وتصوراته للأشياء في الممارسات الفنية.

4- إثارة الانفعالات الوجدانية السليمة والرقي بمشاعر الانسان وأحاسيسه في تلمس مواطن الجمال والزينة التي اخرجها الله لعباده.

5- العمل على وحدة البعد الاخلاقي مع البعد الجمالي في الممارسة الفنية، لنقل وتوصيل أسمى وأفضل القيم والأفكار والمشاعر إلى الناس بأسلوب جميل الأثر والمعنى.

6- يكون دعوة للحياة وإعمارها وباعثاً على الاستمتاع بما أحل الله فيها تجسيداً لمبدأ الفن للحياة.

7- يكون إذكاءً لمشاعر الناس وأفكارهم وإصلاحا لأحوالهم وتحقيقاً لمنافعهم وخدمة لمصالحهم وقضاياهم والتحديات التي تواجه حياتهم، وصولاً إلى تحقيق الغاية منه في إمتاع الناس ومنفعتهم.

8- تعزيز ميدان التحسينات كإحدى المقاصد الشرعية الاساسية، تلبية لما تقتضيه مكارم الاخلاق ومحاسن العادات وكل ما من شأنه سير الناس في حياتهم على أحسن منهاج في كافة الجوانب.

9- اتخاذ جماليات ما خلق تعالى في الآفاق والأنفس – كما تبدو في آيات القرآن الكريم روعة وجمالاً واتقاناً- مصدر استلهام للصور الفنية البديعة في الممارسات الفنية.

10- الالتزام بالتوجيهات والأحكام التي انطوت عليها أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، لتكون أساساً تبنى عليه الممارسة الفنية، مثل تأكيد عقيدة التوحيد وعدم الإشراك بالله، والحرص على أن يكون العمل الفني طيباً بعيداً عن سيء الأخلاق، وإبراز الأصالة بالمحافظة على هوية الأمة بتجنب التشبه بالآخر المختلف ديناً وثقافة، واحترام فطرة الإنسان وما يليق بها، وتحريم الصور والتماثيل التي فيها مظنة الإشراك بالله ومضاهاة خلقه، وتحريم لبس الحرير والديباج واللباس المزركش، وتحريم استخدام آنية الذهب والفضة والأكل فيها، واستحباب حسن الصوت وحلاوة نغمته في الاستماع.

11- الانفتاح على شتى المذاهب الفنية والاستفادة من تجاربها ما دامت منسجمة في اتجاهها معه، بعيداً عن الانحراف والتزييف، والكذب، والتناقض، والعبث، والاسفاف، والحرية الأخلاقية المطلقة من كل قيد.

12- الجمع بين الوحدة القوية المتماسكة والتنوع العظيم في العناصر والاشكال في الاعمال الفنية، إضافة الى الانسجام بين الشكل والمضمون الفني.

13- يكون ملتزماً، وهذا لا يعني الالزام على اتباع مذهب من مذاهب السياسة والاجتماع؛ لأن الإلزام يضيع معه الابداع، وتتبدد فيه القدرات، فالالتزام مسؤولية أمام الله وأمام السلطات وأمام الأمة بأسرها، وبهذا يرقى الالتزام إلى مستوى الرسالة.

14- التجريد في الخروج بالفن من عالم المنظور إلى عالم الرمز والحدس، بالابتعاد عن المحاكاة والتشبيه والتجسيم، وذلك بعدم تصوير الكائنات الحية، والابتعاد عن التجسيم والبروز، وعدم محاكاة الطبيعة وتقليدها في كل عناصر الزخرفة كما في العناصر النباتية والهندسية.

15- اتباع طريقة التأسلب واللانهائية في مخالفة محاكاة الطبيعة، وتعنى محاكاة الطبيعة نقل المادة الطبيعية نقلاً حرفيا وتشبيهها وتقليدها، ويتم مخالفة هذه المحاكاة باتباع نمط فني يتمثل في الارابيسك والخط والزخرفة، وهو ما يسمى بالنمط التأسلبي.

16- استخدام الرمزية في الأعمال الفنية، بالانتقال من التشبيه إلى التجريد أي الانتقال من تصوير الأشياء بذاتها الى تصويرها من منظور روحي، وذلك بتصوير رمز الاشياء للدلالة عن معانيها، وصولاً إلى رمز القيم الكبرى وعلى رأسها قيمة القيم الله تعالى، ويتجلى الجانب الرمزي في الخط العربي وفي الارابيسك.

17- البعد عن الترف والاسراف وتحويل الخامات الرخيصة، بما يضاف عليها من زخارف دقيقة وألوان جميلة والمزاوجة بينها إلى أعمال فينة نفيسة ورائعة.

18- تجاوز الطبقية بالانفتاح أمام الجميع في الاحساس بالجمال والتعبير عنه، دون قيود طبيقية أو فئوية أو أيديولوجية، تجنباً للعزلة وابتعاد الانسان عن اخيه الانسان.

الاستنتاجات والتوصيات

يشغل الفن الإسلامي وممارساته في الحياة العامة العربية والإسلامية المعاصرة، مساحة كبيرة في المناقشات والمداولات الفكرية والسياسية، نظراً لكون هذا الفن من الموضوعات المهمة التي لا يكاد يستغني عنها أحد من المشتغلين بالفن، أو المهتمين به من المفكرين والتربويين. فهو تجسيد للرؤية المعرفية للإسلام عن الفن، ومعلماً مهماً من معالم ثقافة الإسلام، وتعبيراً عن شخصية الأمة وهمومها وقضاياها، وتربية لحسها الجمالي ولتذوقها الفني للإبداع البشري المتسق مع الإسلام؛ لإبراز عظمة الخالق في روعة وجمال ما خلق.

وقد تناول البحث موضوع الفن الإسلامي وخصائصه، ومعايير الفن الإسلامي.

وبين البحث في نتائجه تحديد مفهوم الفن الإسلامي ومقاصده، ومصادر الفن الإسلامي وخصائصه التي أكسبته نسع خصائص فريدة، ومعايير الفن الإسلامي التي تبلورت في (18) معياراً أو مقياساً تميز هذا الفن عن غيره، التي يمكن من خلالها كمعيار تقاس به أصالة الفنون، ومدى اقترابها أو ابتعادها عن الفن الإسلامي كالفن المعاصر. وتضمنت النتائج جملة من الاستنتاجات من أهمها:

- لا تناقض بين الإسلام والفن، فالإسلام لا يحارب أي فن طالما أنه لا يكون وسيلة إلى الشرك أو الفساد.
- المقاييس الغربية للفنون ليست هي المقاييس الوحيدة، وهي لا تصلح للمسلمين.

- الفن الإسلامي وسيلة إلى بلوغ مقاصد الإسلام.
- الفن الإسلامي فن أصيل غير مقتبس، لا يقوم على تقليد غيره، وفي ذلك رد على المزاعم التي أثارها المستشرقون حوله.

وفي ضوء نتائج البحث والاستنتاجات المترتبة عليه يوصي الباحثان بما يلي:

- الحاجة إلى المزيد من البحث في تراثنا للكشف عن جهود علماء السلف ومساهماتهم في قضايا الفن.
- الحاجة إلى الاجتهاد في قضايا الفن بشكل جماعي من قبل المتخصصين في العلوم الشرعية والفنون الإسلامية للوصول الى فتاوي محكمة حول موقف الإسلام من الفنون.
- اعتبار مفاهيم العقيدة الإسلامية جزءاً من معايير الفن الإسلامي.

كما يقترح الباحثان إجراء عدد من البحوث والدراسات:

- معايير الفن المعاصر في ضوء معايير الفن الإسلامي.
- القيم التربوية المتضمنة في الفن الإسلامي.
- تأصيل المفاهيم الفنية الواردة في كتب التربية الفنية المقرّرة.
- تحليل دلالات الألوان في ضوء الآيات القرآنية والمعرفة الفنية المعاصرة.

المصادر والمراجع

الفي، أبو صالح (1980) الإسلام والفنون الجميلة، القاهرة، دار الشروق.

انصاري، فريد (2008) أبجديات البحث في العلوم الشرعية، عمان، دار الحامد.

أنيس، منصر، الصوالمي والاحمد (1972) المعجم الوسيط، (جزءان)، اسطنبول، المكتبة الإسلامية.

بستاني، محمود(1992) الإسلام والفن، بيروت، مجمع البحوث الإسلامية للدراسة والنشر.

بهجت، مجاهد مصطفى (2009) الجمال والإلتزام في الفن الإسلامي، إسلامية المعرفة، السنة الرابعة عشرة، العدد، 56.

بهنسي، عفيفي(1979) جمالية الفن العربي، عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، شباط

تبريزي، الخطيب(1979)مشكاة المصابيح، تحقيق محمد ناصر الدين الالباني، الجزء الثالث، ط2، بيروت، المكتب الإسلامي

جندي، سميح عبد الوهاب (2013) أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية وأثرها في فهم النص واستنباط الحكم، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة

جودي، محمد حسين (1999)الجديد في الفن والتربية الفنية، ط1، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع

حجازي، محمد عبد الواحد (1997) فلسفة الفنون في الإسلام، الإسكندرية، دار الوفاء.

حسن، زكي محمد(د.ت)فنون الإسلام، القاهرة، دار الرائد العربي.

حنش، ادهام محمد (2013) نظرية الفن الإسلامي، المفهوم الجمالي والنظرية المعرفية عمان المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

خليل، عماد الدين (1981) في النقد الإسلامي المعاصر، ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة

دسوقي، محمود (1983) منهج البحث في العلوم الإسلامية، بيروت، دار الاوزاعي.

دومة، عبد الخالق (1982)الأدب ومناهجه المعاصرة، ط1، الدوحة، دار قطري بن الفجاءة

ديماند، م.س، (1982) الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، ط1، القاهرة، دار المعارف

ريسوني، احمد (2015)نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ط5، القاهرة، دار الكلمة للنشر والتوزيع.

شامي، صالح أحمد(1990)الفن الإسلامي التزام وابداع، ط1، دمشق، دار التعلم

صراف، آمال (2004)موجز في تاريخ الفن، ط1، عمان، مكتبة المجتمع العربي.

عاشور، محمد الطاهر(2005) مقاصد الشريعة الإسلامية، ط1، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر.

عكاشة، رائد جميل (2016)، الفن في الفكر الإسلامي رؤية معرفية ومنهجية الجزء الثاني، المعهد العالي للفكر الإسلامي، عمان

عمارة، محمد (1991) الإسلام والفنون الجميلة، القاهرة، دار الشروق

غانم، إبراهيم البيومي (2017) الفنون في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية، لندن: مركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامية.

غزالي، صالح بن احمد(2011) مقاصد الفن في العصر الحديث، موقع الإسلام اليوم، تاريخ الاسترجاع 2011/1/4 to http:// islam .950-19917-86-day.Net/ behooth/art/show

الغمري، حسام (2006) الإسلام والفن، ط1، القاهرة، دار المعارف للنشر والتوزيع
فاروقي، اسماعيل (1981)التوحيد والفن نظرية الفن الإسلامي، مجلة المسلم المعاصر، العدد 23.
فنجري، احمد شوقي (1998) الإسلام والفنون، القاهرة، دار الامين
قرضاوي، يوسف(1995)، الإسلام والفنون القاهرة، د.م.
قشيري، الامام مسلم بن الحجاج، (1992) صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، تركيا وتونس، دار الدعوة ودار سحنون، موسوعة السنة والكتب الستة وشروحها، كتاب الايمان، باب تحريم الكبر وبيانه، 39، حديث رقم 147.
قطب، محمد (1983) منهج الفن الإسلامي، ط6، بيروت، دار الشروق.
قفاش، اسامة محمد نصرالدين (1986) مفاهيم الجمال رؤية إسلامية (سلسلة المفاهيم والمصطلحات 3)ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
محمد خير، مصطفى عبده، (1990) اثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي، بيروت، دار الإشراق للطباعة والنشر.
مراح، محمد، (1997) إسلامية الفنون في ظلال إسهامات مجلة المسلم المعاصر، مجلة اسلامية المعرفة
مراد، محمد بركات (2007) الإسلام والفن، ط1، الشارقة، دار الثقافة والاعلام.
هندي، صالح ذياب (2002) دراسات في الثقافة الإسلامية، ط10، عمان، دار الفكر.

Islamic Art: Its Concept and Standards

Saleh Hindi, Khalida Al-Kilani*

ABSTRACT

The aim of this research is to identify Islamic Art, its concept, resources, characteristics, and standards, through answering its three questions, by utilizing the fundamental curriculum that is based on the inductive, analytic and deductive studies of the research data. This is performed after reviewing the preceding educational literature and research studies, and investigating the Islamic texts from the Holy Quran, Sunna, and selected saying of Islamic Scholars. The research reveals that Islamic art has its exclusive concept that is attributed to Islam and associated with its doctrine as an integrated construction art format that possess its own acknowledged resources , in addition to nine characteristics that distinguish it from other kinds of art and formulate it into an authentic art that is not plagiarized,. These characteristics have also placed their mark on Western Art, as acknowledged by orientalists and unbiased researchers. The research shows that Islamic art is composed of 18 standards distinguishing it from Modern Art.

Keywords: Art; Islam; Islamic Art Concept; Islamic Art Standards.

* Faculty of Educational Sciences, Hashemite University, Jordan. Received on 4/5/2017 and Accepted for Publication on 9/9/2018.